محاضرات مادة المذاهب الأدبية

المرحلة الرابعة

مدرس المادة : م.د. داليا حميد شهاب

المحاضرة الأولى

المذاهب الأدبية: مفهومها ونشأتها

مفهوم المذهب:

اختلف الدارسون في تعريف المذاهب الأدبية بمثل اختلافهم في نشأتها، وقد طُرحت في هذا الصدد عدد من المفاهيم التي تمثِّل آراء ووجهات نظر قائليها، ومن أبرز تلك التعريفات:

المذاهب الأدبية (مجموعة من الأفكار تستحيل طابعاً عاماً في زمن من الأزمان، وبلدٍ من البلدان). لكن المذهب الذي ترتبط نشأته ببلدٍ معيَّن سرعان ما يخرج منها ويعبر إلى بلدان أُخرى، وإلى لغات أخرى وآدابٍ أخرى.

وهنالك من يرى أن المذاهب الأدبية (استجابة لحاجات جمالية في واقعٍ تاريخي محدد)، ذلك أن المذهب لا ينشأ عادةً بإرادة فنّانٍ فرد، ولا باتفاق مجموعة من الفنانين، وإنما هو جزءٌ من بناءٍ ثقافي عام معبِّر عن مرحلة اجتماعية من مراحل تطوُّر المجتمع، ويجسِّد المذهب بجمالياته وأفكاره علاقة الإنسان بعالمه.

وهنالك من يرى أنّها _ أي المذاهب (حالات نفسية عامة ولّدتها حوادث التاريخ، وملابسات الحياة في العصور المختلفة، وجاء الشعراء والكتّاب والنُّقّاد فوضعوا للتعبير عن هذه الحالات النفسية أصولاً وقواعد يتكوّن من مجموعها المذهب). وهذا يعني أنه حين تتولّد حالات نفسية لا بدّ أن ينشأ مذهب جديد، وهكذا دواليك.

ويقول آخر المذهب الأدبي (جملة من الخصائص والمبادئ الأخلاقية والجمالية والفكرية تشكِّل في مجموعها المتناسق لدى شعبٍ أو مجموعة من الشعوب، في فترة ما، تياراً يصبغ النتاج الأدبي والفنّي بصبغةٍ غالبة، تميّزه عما قبله وعما بعده في سياق التطوُّر). وهذا يعني أن المذهب في مفهومه العام لا يقف عند حدِّ الأدب فحسب، وإنما يتجاوزه ليشمل كافة الفنون من موسيقى ونحت ورسم وزخرفة وطُرز معماريّة، لأنه حصيلة فلسفية تبلور نظرة المجتمع إلى العالم والإنسان: موقفه، هدفه، مصيره، وبالتالي طرائق تعبيره الفنّية.

من خلال هذا الاستعراض لوجهات النظر المختلفة حول مفهوم المذهب الأدبي نلاحظ أن هنالك إجماع أو شبه إجماع على أن المذاهب الأدبية عبارة عن تيارات ذات سماتٍ عامةٍ فكرية وفنّية تنشأ في أوضاعٍ معيّنةٍ وتسود الإنتاج الأدبي فتبرز فيه خصائص مميّزة تكون هي الغالبة عليه.

فإذا كان هنالك من يربط ظهور المذهب وتشكّله بالجانب الفكري، أو النفسي، أو الاجتماعي، أو حتى السياسي، فإن ذلك لا يمنع القول بأثر التطوُّر الاجتماعي والاقتصادي في صياغة وتشكيل المذاهب الأدبية.

وهنا ينبغي أن نُشير إلى أنّ المذاهب الأدبية ليست قوالب جامدة ترصُّ فيها إبداعات الأدباء والكتّاب رصّاً، وفقاً لتصوُّر قاطع، بل هي تعبير عن واقع أدبي في مرحلةٍ تاريخية معيّنة، لا تزول زوالاً حتمياً بانتهاء تلك المرحلة، وإنما يكون ذلك على وجه التغليب، حيث يبقى أثر المذهب في الأدب يتردد بين الحين والآخر حتى في وقت ظهور وسيادة مذهبٍ آخر، لذلك قد نلاحظ وجود بعض الشعراء الكلاسيكيين في زمن سيادة الرومانسية كما يمكن أن نلاحظ وجود شعراء رومانسيين وقتَ سيادة المذهب الواقعي، وهكذا.

المحاضرة الثانية

المذهب الكلاسيكي: المفهوم والخصائص

مصطلح كلاسيكية: مفهومه وجذوره

يعدّ المذهب الكلاسيكي أوّل مذهب نشأ في أوربا في القرن السادس عشر، بعد حركة البعث العلمي._ويقوم المذهب على فكرة بعث الآداب اليونانية واللاتينية القديمة ومحاولة محاكاتها، لما فيها من خصائص فنّية وقيم إنسانية.
أما كلمة كلاسيكية فمشتقة من اللفظة اللاتينية Classis، التي كانت تعني وحدة الأسطول، ثم أصبحت تفيد معنى وحدة دراسية. وكانت تعني الطبقة العليا في المجتمع الروماني الذي كان يقسّم إلى ستِّ طبقات، ثم ما لبثت في مرحلةٍ لاحقة أن أُطلقت على كُتّاب الطبقة الأولى من الإغريق والرومان، ثم دلّت على آدابهم بعامةٍ.

جاءت نشأة المذهب الكلاسيكي ردةَ فعلٍ على حالة الضعف والانحطاط التي أصابت الحياة الأدبية والفكرية في القرون الوسطى بسبب تسلّط الكنيسة، فجاءت دعوتها القويّة إلى إحياء اللغات القديمة، واحتذاء النماذج الأدبية الرفيعة في التراث الإغريقي والروماني.
وكان أوّل ظهورها في إيطاليا، وذلك لأسبابٍ عديدةٍ، منها:
١- أن إيطاليا مركز البابوية، الأمر الذي جعل الإحساس بتسلّط الكنيسة ظاهراً للعيان، ما أحدث ردّة فعلٍ مبكِّرة تمثّلت في الحركة الإحيائية.
٢- كانت إيطاليا تتمتّع بهدوءٍ نسبي قياساً إلى غيرها، وهو ما قاد إلى التفكير المنطقي الهادئ في أمر التخلُّف الذي أصاب الحياة، والتفكير في التخلُّص منه.
٣- كانت إيطاليا ذات أهمية تجارية بين الغرب والشرق، ما وفّر لها قدراً من الرخاء وأتاح لأُدبائها وفلاسفتها التفكير والتأمُّل.
٤- تنافُس مدنها مثل جنوة والبندقية وغيرهما قاد إلى ازدهار الأدب والفكر.
نتيجة لهذه العوامل وغيرها برز كتّاب كبار في إيطاليا، أمثال: (دانتي) صاحب (الكوميديا الإلهية)، و (وبترارك) الذي كان مغرماً بالتراث والآثار الرومانية، و (بوكاشيو) الذي كان شغوفاً بالآداب الإغريقية.
ومن إيطاليا انتقلت الكلاسيكية إلى فرنسا وإسبانيا وغيرهما من البلاد الأوربية.
ويرى بعض الدارسين أن هذا المذهب بالرغم من نشأته في إيطاليا إلا أنه نضج وأثمر في فرنسا مع أعلام الأدب هناك، أمثال: كورني، وراسين وموليير، وغيرهم.

خصائص الأدب الكلاسيكي

تميَّز الأدب الكلاسيكي بخصائص عديدة، لعلّ من أهمّها:
١- **التعويل على الحقيقة وما يشبهها:** وهو ما يعني الاقتراب من الواقع، والابتعاد عن نزوات الخيال والوهم، فالحقيقي وحده هو الجميل، وهو الممتع والمحبوب.
٢- **العقلانية:** جعلت العقل وحده هو الحَكَمُ في معرفة الحقيقي من الزائف، وهو الذي يمنع من الانسياق وراء نزوات الخيال والأمور غير الواقعية، والمبالغة في التعبير عن الآلام والأفراح. ومن هنا غابت في الأدب الكلاسيكي النزعة الغنائية التي تقوم على الخيال والعواطف القوية.
٣- **تقليد القدماء:** كان روّاد المذهب الكلاسيكي أمثال: موليير وبلزاك ولافونتين وراسين وبوالو، ينظرون إلى قدماء اليونان واللاتين نظرة إجلال وتقديس، وكانوا يعدُّونهم الأساتذة الشرعيين في الأجناس الأدبية. حتى قال لافونتين مقولته المشهورة (إنك إذا اخترت طريقاً آخر غير طريق القدماء سوف تضلّ).
٤- **الاتقان الفنّي:** لا مجال في الكلاسيكية إلى الجموح والخروج على القواعد والأصول، ولا بد للكاتب أن يتقن فنّه إلى درجة الكمال، لكن بشرط المحافظة على البساطة وعدم التكلُّف. والجمال الفنّي يعني العمل الدؤوب والإخلاص في المهنة، ومعاودة العمل بالتهذيب. وأوضح مثال لهذا الالتزام بالقواعد هو تقيُّد الأدب الكلاسيكي بمبدأ الوحدات الثلاث (وحدة الحدث، وحدة الزمان، ووحدة المكان،) إطاراً للإبداع.
٥- **القيم الأخلاقية:** الجمال والاتقان الفنّي الذي دعت إليه الكلاسيكية لا يُبتغى لذاته، بل لا بدُّ معه من مثالٍ أخلاقيٍّ وروحيٍّ يرمي إلى رفع الإنسان إلى حالةٍ أفضل، فالجمال والخير صنوان لا يفترقان عندهم. لذلك اتجه الكتّاب إلى معالجة المشكلات الإنسانية كالحبِّ والبغض والهوى والغيرة والعقل والواجب والعاطفة والرياء والبخل. هكذا تبلور في الكلاسيكية اتجاه عام يرمي إلى صوغ مثال جمالي وأخلاقي موحّد ينطلق من وحدة ذوقية في الشعر والنثر.
٦- **الأدب الكلاسيكي أدب إنساني:** كان أدباء الكلاسيكية على اختلاف توجُّهاتهم الأدبية ينطلقون من النفس الإنسانية بعموميتها ويتجهون إلى النفس الإنسانية، حتّى قال بيير جانيه (إن أدبنا الكلاسيكي أدبٌ إنسانيٌّ مطلقاً، نشأ من الإنساني وتوجّه لتلبية حاجات الإنسان) ، مثال ذلك موضوع الحب الذي عُولج بقالب غزلي ممتع، والملهاة التي راحت تصوّر نقائص المجتمع بأسلوبها الممتع بغية حماية المجتمع وإصلاحه. كما نجد أن الشعر الغنائي عندهم قد تحوّل إلى المحور الاجتماعي، وأخذ الشعر التعليمي الصبغة الإنسانية.
وقد اهتمّت الأنواع الأدبية كلُّها بالعواطف المشتركة، والأخلاق العامة، ونأت عن الحالات الشديدة الخصوصية، أو الناشزة والنادرة.

٧- **الأدب الكلاسيكي أدب غير شخصي:** وهذا يعني أن الكاتب والمبدع الكلاسيكي لا يعبّر عن آرائه ومشاعرة الشخصية، بل يتبّع النهج التعليمي والدرامي، وتبدو الذات وكأنها غائبة، ويبقى التعبير من خارج الذات الفردية، حيث تذوب الذات المبدعة في الموضوع، وقد تظهر هذه الذات من خلال شخصيات المأساة كما هو الحال في أعمال موليير وراسين وكورني.

٨- **التعبير الكامل باللغة الوطنية:** عزف روّاد المذهب الكلاسيكي عن اللغة اللاتينية وسيلةً للتعبير واتجهوا نحو لغاتهم الوطنية والمحلية، ودأبوا على إغناء لغاتهم هذه بالمفردات بطرائق صرفية متنوّعة، حتى أصبحت لغات غنية قادرة على التعبير عن كل مقاصد الكاتب.

المحاضرة الثالثة

الكلاسيكية: قضاياها وأعلامها

دار النقاش بين أعلام المذهب الكلاسيكي حول العديد من القضايا والتي كانوا يتفقون حول بعضها ويختلفون حول بعضها الآخر ولو في بعض تفاصيلها، فمن تلك القضايا:

١- علاقة الموهبة بالفن:

هي واحدة من القضايا التي أثارها منظرو الكلاسيكية، فإذا كان هؤلاء يرون أنه لا بد من وجود العبقرية أوّلاً، إلّا أنهم يرون أنها وحدها لا تكفي، إذ هي لا تصنع الشاعر والذي لا بدّ له من تعلُّم أصول الصَنعة الفنّية، لذلك أوجبوا على الشاعر والمبدع ضرورة الاستعداد المبكِّر لممارسة كتابة الشعر، ولا بدّ له من حفظ الكتب النظرية الأساسية التي تحدد قوانين الصنعة، مثل كتب أرسطو وهوراس وغيرهما من أعلام الفكر والنقد القديم. بل هنالك من ذهب إلى أن العبقرية والصنعة وحدهما لا يكفيان للاشتغال بكتابة الشعر، فلا بدّ من الإلمام بالمعارف التاريخية والسياسية والعلوم الطبيعية.

٢- فكرة الكمال:

تتجه فكرة الكمال نحو تحقيق الجمال، والذي لا يتحقق إلا بغاية أخلاقية كما أسلفنا في نقاشنا لخصائص الأدب الكلاسيكي، وإذا كان بعض الكلاسيكيين يرى أن المتعة من سمات الكمال، إلا أن أغلبهم يجمعون على المغزى الأخلاقي بوصفه الأساس الذي يقوم عليه الفن.
غير أن ثمة من يرى فرقاً بين المتعة والمغزى، مثل (كوزيل) الذي رأى أنه ينبغي أن نعرف كيف نمتِّع أوّلاً ثم كيف نعلِّم ثانياً.

٣- قاعدة الوحدات الثلاث:

هذه القاعدة من القواعد الكلاسيكية الأساسية، ويقصد بها الوحدات الثلاث التي تكوِّن العمل الدرامي، وهي: وحدة الحدث أو الموضوع، وحدة الزمان، ووحدة المكان.
أما وحدة الحدث، فيقصد بها أن العمل الدرامي ينبغي أن يقوم بمعالجة موضوع واحد أو حدثٍ واحدٍ له بداية ووسط ونهاية. وهذا الحدث ينبغي أن تكون أجزاؤه مترابطة البناء، لا تقبل الإضافة أو الحذف.
أما وحدة الزمان، فقد أشار إليها أرسطو في كتابه (فن الشعر)، وحددها بدورة شمسية كاملة، نهار يوم واحد، أو (٢٤ ساعة) كما فهمها البعض. وهذا يعني أن الفعل الدرامي

يتطوّر خلال اليوم من بدايته حتى نهايته، فلا يتجاوز ذلك.
وأما وحدة المكان، فتعني أن الحدث ينبغي أن يدور في مكانٍ واحدٍ كأن تكون جزيرة أو مدينة أو مقاطعة.
ووحدتا الزمان والمكان تعطيان المأساة قوتها النفسية حيث الإيجاز والامتلاء.

- نظرية الأنواع الأدبية:

لا شك أن الأدب الكلاسيكي عرف عدداً من الأنواع الأدبية، من أهمها: الملحمة، المأساة، الملهاة، الشعر الغنائي.
وتحتل الملحمة المكانة الأولى بين هذه الأنواع الأدبية، فقد برز الأدب الملحمي وشكّل حضوراً قوياً منذ النجاح الكبير الذي حققته الإلياذة الإغريقية للشاعر هوميروس، الإنيادة اللاتينية للشاعر الروماني فرجيل. ويرى كثير من الدارسين أن أدب الملاحم الذي اشتهر في القديم واندثر في العصر الحديث قد ترك مكانه للرواية التي تعدُّ الوريث الشرعي لهذا الفنّ في وقتنا الحاضر.

أما المأساة فتحتل المكانة الثانية بعد الملحمة، فهي تقدَّم في أسلوب رصين، وتعالج القضايا الجادة، بشكل درامي (مسرحي) لا روائي.

ثم تأتي بعد ذلك الملهاة، والتي تعالج قضاياها بطريقة هزلية ساخرة ثم يأتي بعدها الشعر الغنائي.

الكلاسيكية في الأدب العربي

خصائصها:

ظهرت في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وأُطلق عليها مسميات عديدة في الأدب العربي، ولكلِّ اسم دلالته، فمنهم من أطلق عليها المدرسة الاتِّباعية، نظراً لاتِّباعها طرائق القُدامى في الإبداع، وآخرون أطلقوا عليها الإحيائية، نسبة لإحيائها لسَنن القصيدة العربية القديمة في إنتاجها الشعري، وقد يسميها البعض بالمدرسة المحافظة، حيث المحافظة على التراث أو تقليده، ومنهم من ربطها بالمصطلح الغربي الكلاسيكية.

ينبغي أن نُشير إلى أن المدرسة الاتّباعية العربية بالرغم مشابهتها للكلاسيكية الغربية، إلا أنها لم تظهر نتيجة التأثُّر بها كما في بقية المدارس الأخرى، وإنما ولّدتها ظروف مشابهة لتلك التي أنتجت الكلاسيكية الغربية، حيث كان المجتمع العربي يعيش حالة ضعف فنّي وفكري كبيرة قبل ظهورها، لذلك حينما بدأ هذا المجتمع في النهوض رجع إلى تراثه القديم وأخذ نماذجه الإبداعية منه، تماماً كما فعلت الكلاسيكية الغربية برجوعها للأدبيْن اليوناني والروماني القديميْن.

وتتمثّل أهم خصائص هذه المدرسة فيما يلي:

١- احتذاء النماذج الفنّية العربية القديمة في الشعر من حيث الصياغة وبناء القصيدة، فالاتباعيون هم أوّل من ردّ إلى القصيدة العربية نصاعتها وصفائها القديميْن، فقد اختاروا أحسن أساليب العرب وأفصح ألفاظهم.
٢- لم يقتصر الأمر على الجانب الفنّي، بل تعدّاه إلى الجانب المعنوي، حيث تمثّل شعراء الإحياء أفكار العرب وصورهم وعواطفهم.
٣- في تعبير الاتباعيين العرب عن الموضوعات القديمة افتتح الكثيرون منهم، خاصة الأوائل قصائدهم بالوقوف على الأطلال والغزل، ثم انتقلوا إلى الأغراض القديمة من مدحٍ ورثاءٍ وحكمة وغيرها.
٤- تقدير القيم الإنسانية مثل الصدق والوفاء والنجدة والمروءة، ومدح الأخلاق الفاضلة، ونبذ الدنيئة. فقد ظلّ التهذيب الخُلقي والهدف التربوي هاجساً من أعظم هواجس الاتباعيين شأنهم في ذلك شأن الكلاسيكيين الغربيين، فقد قال شوقي:
إنّما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هموا ذهبت أخلاقهم ذهبوا
٥- من حيث الموسيقى حافظت المدرسة على وحدة الوزن ووحدة القافية في القصيدة الشعرية.
٦- وعلى العموم تمسُّكت المدرسة بعمود الشعر العربي الذي يحدد أُسس التشكيل الجمالي في القصيدة العربية، حيث شرف المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته، والإجادة في الوصف، والإصابة في التشبيه وما إلى ذلك.

محاضرة الرابعة

الكلاسيكية في الأدب العربي

خصائصها:

ظهرت في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وأُطلق عليها مسميات عديدة في الأدب العربي، ولكلِّ اسم دلالته، فمنهم من أطلق عليها المدرسة الاتِّباعية، نظراً لاتِّباعها طرائق القُدامى في الإبداع، وآخرون أطلقوا عليها الإحيائية، نسبة لإحيائها لسَنن القصيدة العربية القديمة في إنتاجها الشعري، وقد يسميها البعض بالمدرسة المحافظة، حيث المحافظة على التراث أو تقليده، ومنهم من ربطها بالمصطلح الغربي الكلاسيكية.

ينبغي أن نُشير إلى أن المدرسة الاتّباعية العربية بالرغم مشابهتها للكلاسيكية الغربية، إلا أنها لم تظهر نتيجة التأثُّر بها كما في بقية المدارس الأخرى، وإنما ولّدتها ظروف مشابهة لتلك التي أنتجت الكلاسيكية الغربية، حيث كان المجتمع العربي يعيش حالة ضعف فنّي وفكري كبيرة قبل ظهورها، لذلك حينما بدأ هذا المجتمع في النهوض رجع إلى تراثه القديم وأخذ نماذجه الإبداعية منه، تماماً كما فعلت الكلاسيكية الغربية برجوعها للأدبيْن اليوناني والروماني القديميْن.

وتتمثّل أهم خصائص هذه المدرسة فيما يلي:

١- احتذاء النماذج الفنّية العربية القديمة في الشعر من حيث الصياغة وبناء القصيدة، فالاتباعيون هم أوّل من ردّ إلى القصيدة العربية نصاعتها وصفائها القديميْن، فقد اختاروا أحسن أساليب العرب وأفصح ألفاظهم.

٢- لم يقتصر الأمر على الجانب الفنّي، بل تعدّاه إلى الجانب المعنوي، حيث تمثّل شعراء الإحياء أفكار العرب وصورهم وعواطفهم.

٣- في تعبير الاتباعيين العرب عن الموضوعات القديمة افتتح الكثيرون منهم، خاصة الأوائل قصائدهم بالوقوف على الأطلال والغزل، ثم انتقلوا إلى الأغراض القديمة من مدحٍ ورثاءٍ وحكمة وغيرها.

٤- تقدير القيم الإنسانية مثل الصدق والوفاء والنجدة والمروءة، ومدح الأخلاق الفاضلة، ونبذ الدنيئة. فقد ظلّ التهذيب الخُلقي والهدف التربوي هاجساً من أعظم هواجس الاتباعيين شأنهم في ذلك شأن الكلاسيكيين الغربيين، فقد قال شوقي:

إنّما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هموا ذهبت أخلاقهم ذهبوا

٥- من حيث الموسيقى حافظت المدرسة على وحدة الوزن ووحدة القافية في القصيدة الشعرية.

٦- وعلى العموم تمسُّكت المدرسة بعمود الشعر العربي الذي يحدد أُسس التشكيل الجمالي في القصيدة العربية، حيث شرف المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته، والإجادة في الوصف، والإصابة في التشبيه وما إلى ذلك.

المحاضرة الخامسة

نُقّاد الاتّباعية:

ظهر عدد من النقّاد في عصر النهضة الأدبية كانوا ينظِّرون لمدرسة الإحياء، لعلّ من أبرزهم:

- حسين المرصفي: يعدّه الكثيرون الممثِّل الرئيس للتيار الإحيائي في النقد العربي، خاصة في كتابه (الوسيلة الأدبية للعلوم العربية)، هذا الكتاب الذي حوى مختلف علوم اللغة العربية، حيث تطرّق فيه للغة بنحوها وصرفها وبلاغتها، كما اختار فيه جملة من النماذج الشعرية، ودرس أشعار البارودي وكتابات عبد الله فكري النثرية، ووازن بين هذه النماذج وما يماثلها من التراث الأدبي القديم.

أمّا مذهب المرصفي النقدي فيمكن النظر إليه من زاويتيْن:

(الأولى) تتعلّق بجهوده النظرية

(الثانية) تتصل بممارساته التطبيقية

فيما يخص الجهود النظرية فقد كان المرصفي يوصي الشعراء بضرورة حفظ واستظهار شعر كبار الشعراء في القديم والنسج على منوالهم، فالتمرّس بأشعار القدماء النابهين عنده أولى من حفظ قواعد اللغة والعروض. فقد لاحظ أن الشاعر الإحيائي الكبير محمود سامي البارودي لم يُعنَ بقراءة كتب النحو أو البلاغة أو العروض، وإنما كان يصدر عن طبع تكوَّن لديه بطول التمرُّس بأساليب الشعراء القُدامى.

أما ممارساته التطبيقية، فقد اعتمد فيها كثيراً على أشعار البارودي حيث يعمد أوّلاً إلى النموذج القديم وشرحه، وبيان ما هو متداول من معانيه، ثم يعمد ثانياً إلى النموذج الذي عارض فيه البارودي تلك القصيدة، فيتحدّث عنها حديثاً مطوّلا غالباً ما ينتهي إلى امتداحها حين يجد هذا النموذج المختار سار على نهج القدامى.

ومن النقاد الذين عاصروا المرصفي الناقد المويلحي (الابن)، والذي يلمح الدارس لنقده أنه يعتمد المنهج اللغوي الإحيائي بوضوح في حديثه عن ديوان أحمد شوقي، فقد توقّف عند بعض قصائد شوقي المتميّزة، وتتبّع معانيها اللغوية، وسفّه مدلولاتها، وبيّن ما وقع فيه من أخطاء.

ويربط المويلحي الوزن بالحالة النفسية، فالشعر عنده يرتدُّ إلى حالة البهاء أو الجمال الباطني المركوزة في النفس، وأخصّ خصائص هذه الحالة أنّها تُمتِّع في ذاتها، ولا عبرة معها بالمضمون.

أما الناقد الإحيائي خليل اليازجي، فقد ركّز على صورة المعاني الشعرية، وربط بينها وبين صفاء اللفظ وتعقيده في سطوع الدلالة وإفسادها.

أما أحمد فارس الشدياق، فقد تلمّس بعض مظاهر الصلة بين الشعر والفلسفة، وهاجم التكلُّف والزخرفة، مركِّزاً على الجانب الوجداني.

وأما الشاعر والناقد مطران خليل مطران، الذي يمثِّل جسراً بين المدرسة الإحيائية والرومانسية، فقد هاجم الجمود في التعبير وتطرّق إلى ضرورة الصدق الفنّي، وشدد على

وحدة القصيدة الفنّية مُشيراً إلى أنه لا ينبغي أن يُنظر إلى القصيدة من خلال البيت الواحد، ولكن إلى جملة القصيدة في تركيبها وفي تناسق معانيها وتآلفها، وأرسى مفهوماً جديداً لبناء العمل الأدبي.

ومع هذه اللمحات التجديدية في نقد مطران إلا أنه بقي وفياً لمنهج الإحياء، حتى قال عنه الناقد المعاصر محمّد مندور: إن منهجه يشبه إلى حدٍّ كبير منهج المدرسة الكلاسيكية الجديدة في فرنسا والتي تلخِّصها مقولة أحد شعرائها (فلنقل أفكاراً جديدة في أشعار قديمة).

مصادر الاتّباعية:

تتمثّل مصادر المدرسة الاتّباعية في النموذج الفنّي في الشعر العربي القديم، وفي هذا الصدد أُلّفت العديد من الكتب في العصر الحديث تعدّ مصادر لنهج مدرسة الإحياء، فقد حاول أصحاب هذه الكتب أن يعرّفوا بطبيعة الشعر العربي القديم من حيث بنائه الفنّي والفكري، لعلّ من أهم هذه الكتب، الكتاب القيِّم للدكتور عبد الله الطيّب (المرشد إلى فهم أشعار العرب) في عدة أجزاء، ناقش من خلالها العديد من قضايا الشعر العربي القديم الذي تأثّر به شعراء ونقّاد المدرسة الإحيائية. فمن أهم تلك القضايا التي عالجها الكتاب:

١- البنية الإيقاعية للشعر العربي، فدرس القوافي الأوزان، واستقصى الصلة بين أنواع القوافي والبحور الشعرية استقصاءً واسعاً، وقد لمس مسألة مهمة تمثّلت في الملاءمة بين البحور الشعرية والموضوعات.

٢- تحدّث عن رمزية الشوق والحنين، ورمزية المعاهد والديار، فقد تحدّث عن الأثافي والرماد والحَمام والليل والنجوم، فرأى أنها جميعاً مع غيرها رموزاً للحنين في الشعر العربي.

٣- أفرد باباً للحديث عن الغزل وأوصاف النساء، متحدّثاً عن مقاييس الجمال عند العرب، فأشار إلى أن العرب ذكرت من أوصاف النساء ضروباً لا تُحصى، كانت تُتخذ مداخل لشعر الغزل، من ذلك المرأة المنعّمة، والجميلة الفارعة، والمرأة الضخمة، والشمطاء، والوالهة، والجليلة المهيبة، وغير تلك من الصفات التي نجدها في أشعار القدماء وأخذها عنهم شعراء الإحياء في العصر الحديث.

بالإضافة إلى مراجع أخرى مهمة، مثل كتاب (تاريخ الشعر العربي) لنجيب البهبيتي، وكتاب (قضية عمود الشعر في النقد العربي القديم) للدكتور وليد قصّاب، وغيرها.

ومن أبرز شعراء الاتجاه الإحيائي في الأدب العربي: محمود سامي البارودي، أحمد شوقي، حافظ إبراهيم، جميل صدقي الزهاوي، معروف الرصافي، محمد سعيد العباسي، محمد بن عثيمين، عبد الله بن خميس، أحمد الغزاوي، وغيرهم في البيئات الثقافية العربية المختلفة.

المحاضرة السادسة

الرومانسية: مفهومها وخصائصها

مصطلح رومانسية: المفهوم والجذور

بعد ما لا يقل عن القرن والنصف من سيادة المذهب الكلاسيكي بدأ في النصف الثاني من القرن الثامن عشر يتشكّل على أنقاضه تيار جديد في الأدب الغربي عُرف بالمذهب الرومانسي، فما هو إذن مفهوم رومانسي، وما جذوره التاريخية والفلسفية؟

لفظة رومانسية مشتقة من كلمة رومانيوس Romanuis التي أُطلقت على اللغات والآداب التي تفرّعت عن اللغة اللاتينية القديمة والتي كانت تُعامل في القرون الوسطى باعتبارها لهجات عامية للغة روما القديمة، أي اللغة اللاتينية، ولم تعتبر لغات وآداب فصيحة إلا مع بداية عصر النهضة في الغرب، أي بداية العصر الحديث، حيث أخذت تحلّ محل اللغة اللاتينية كلغات ثقافة وأدب وعلم، هذه اللغات هي المعروفة اليوم بالفرنسية والإيطالية والإسبانية والبرتغالية والرومانية. فالرومانسية إحدى لهجات سويسرا.

وقد قصد الرومانسيون باختيارهم هذا اللفظ عنواناً لمذهبهم إلى المعارضة بين تواريخهم وآدابهم وثقافاتهم القومية أي الرومانسية، وبين التاريخ والأدب والثقافة الإغريقية واللاتينية القديمة التي سيطرت على الكلاسيكية وقيّدت أدبها بما أُستنبط منها من أصول وقواعد. كان الرومانسيون يقولون ما لنا ولآداب اللاتين والإغريق وأصول فنِّهم، وأمامنا تاريخنا القومي، وثقافتنا القومية. وأن روحنا القومية تطلب إلينا أن نصدر عنها ونتخلّص من القيود والأصول التي تكبّل ملكاتنا، وتبقينا تبعاً وذيولاً للآداب القديمة وأصولها المُدّعاة.

لذلك كانت الرومانسية ثورة على الأسس التي قامت عليها الكلاسيكية، وصارت تعني مع مرور الزمن كل ما هو مقابل لها.

فاستقرّت كلمة الرومانسية حيث تُطلق على مذهبٍ أدبيٍّ بعينه ذي خصائص معروفة، أُستخلصت على المستوى النقدي من مجموع ملامح الحركة الأدبية التي انتشرت في أوربا في أعقاب المذهب الكلاسيكي.

خصائص الأدب الرومانسي:

الاحتجاج على سلطان العقل: والاتجاه نحو القلب ما يجيش فيه من المشاعر والأحاسيس والعواطف، والاندفاع غير المحدود نحو الجمال، والتمرّد على القيود والشكليات الاجتماعية. ولدى عودة الرومانسيين إلى الذات أصبح الفرد محور الأدب، ونما أدب البوح والاعتراف.

العودة إلى المصادر القومية والوطنية، والأجواء الشعبية المحلّية، هذه الالتفاتة إلى الماضي القومي كانت مشحونة بكثير من الحنين والأحلام.

التمرُّد والبناء في آنٍ معاً: فقد تمرَّد الرومانسيون على جميع القواعد والقوانين والمواضعات الاجتماعية، وراحوا ينشدون الحرية الفكرية والأخلاقية والانعتاق اللانهائي. ومع هذا التمرّد كان يوجد بناء لعالم جديد قوامه الحق والخير والعدل والمساواة والحرية. إنّ رسالتهم كما يقول لامارتين: الهدم في صالح التقدُّم البشري.

العزوف عن الأساطير اليونانية والرومانية: والاغتراف من معين الدين ومصادره، والذي وجد فيه الرومانسيون ملاذاً ترتاح فيه نفوسهم الحائرة، وتسمو فوق الغرائز المادية، فلاحت في أشعارهم ملامح التصوّف والتجلّي.

العودة إلى الطبيعة: واتّخاذها إطاراً للمشاهد القصصية، وموضوعاً موحياً أثيرا. فقد اكتشف الرومانسيون ما في الطبيعة من جمال وعظمة، ولا سيما الأجواء العاصفة، والبحار الهائجة، والجبال الشامخة، والغابات الغامضة، والليالي المظلمة، وأخلدوا إلى ما في الطبيعة من هدوءٍ ووحدةٍ وعزلة. وناجوها كأمٍّ رؤوم وحبيبةٍ معشوقة.

الولع بالتغرُّب والغريب: إنه الفرار إلى عوالم جديدة، والترحال إلى البلاد البعيدة، واكتشاف الجديد من الآفاق والغريب من الأقوام، سواءً ضمن أوربا أو في الشرق والقارات الأخرى، وقد انعكس ذلك في أدب القصة والرحلات.

البطل الرومانسي: حين عزفت الرومانسية عن الأبطال الخارقين للعادة، والآلهة، وأنصاف الآلهة الذين عرفهم الأدب اليوناني والروماني، فإنها خلقت لنفسها أبطالاً بشريين، استمدّت شخصياتهم من التاريخ الوسيط، أو الوطني المعاصر، أو من الحياة الاجتماعية، ولكن ضمن الإطار الشاعري المحلِّق في أجواء المثالية والعظمة، فهنالك البطل العاشق البائس اليائس، والبطل الممثِّل للعظمة الملحمية والعبقرية القومية، والبطل المعذَّب الشديد الحساسية، والبطل الفاسد والملحد، والبطل الطيِّب الشجاع، والبطل الذي تضافرت عليه مظالم المجتمع. إنها نقلة وسيطة باتجاه الواقعية.

المرأة اللغز: اتجه أدباء الرومانسية صوب المرأة، فأعطوها منزلتها، وأعادوا إليها اعتبارها الاجتماعي، ولكن روحهم الشاعرية اختلفت في النظر إليها، فبينما وجد فيها بعضهم الحبيبة المعبودة، والملهمة والملاك الذي هبط من السماء، رأى فيها آخرون تجسيداً للشرور الشيطانية، ومجلبةً للشقاء والألم، وشاهد فيها آخرون كلا الوجهيْن المتناقضين، وعلى العموم هي عندهم القَدَر الذي لا فكاك منه. أما الحبُّ فقد سما عند بعضهم إلى مرتبة العبادة، إنه عند الشعر دي موسيه " دين السعادة"، وعند الشاعر شيلي " السلطان القاهر"، وقد نظروا إليه نظرةً شمولية تصوُّفية، فإذا به شريعة الكائنات كلّها، والمحرِّك الأكبر للكائنات كلّها.

الفكر الجريء اللمّاح المدرك للمفارقات والتناقضات، الميّال إلى الحدس أكثر من الوعي والتفكير الموضوعي، وإلى النظرة الشمولية الموحّدة للإنسان والطبيعة وما وراء الطبيعة، حيث تتحد الذات مع الموضوع، ويمتزج الإنسان بالطبيعة.

المحاضرة السابعة

الرومانسية: قضاياها وأعلامها

أوّلاً: القضايا العامة:

١- الفرد والمجتمع:

من القضايا التي شغلت الرومانسيون علاقة الفرد بالمجتمع، وهذه قضية لها علاقة وثيقة بالشخصية الرومانسية، فقد خلقت هذه الشخصية لها آمالاً جعلتها تضيق ذرعاً بالمجتمع الذي تعيش فيه وبما يسوده من تقاليد، فالرومانتيكيون كانوا يتطلّعون إلى سعادةٍ حَرَمهم منها المجتمع وما له من قوانين، ما جعل الفرد الرومانسي، والمبدع الرومانسي يفرُّ بروحه وخياله من بيئته وحاضره إلى بيئات يحلم بها، وإلى ماضٍ يطلب فيه العزاء، أو مستقبل يخلقه لنفسه. فقد كان الرومانسيون يرؤن المجتمعات ظالمة آثمة، فيعطفون على الأفراد من ضحاياها البائسين. لكن نقمة الرومانسين على المجتمع لا تجعلهم يدعون من وراء ذلك إلى الفوضى الفردية، ولا إلى الرجوع إلى حياة الغابات والكهوف؛ لأنهم يعلمون باستحالة ردّ التاريخ إلى الوراء، لكنهم يدعون إلى خلق عالمٍ فطريٍّ سمحٍ، تتوافر به سعادة لأبناء وطنهم، أو لأبناء الجنس البشري. وهو عالم لا يبحثون عنه في مواضعات المجتمع، وطبيعة بنائه، ولكنهم يستمدونه من عواطفهم الإنسانية التي ترجع إلى ما فُطروا عليه من إلهامٍ بحسن الأفعال وقيم الفضائل.

٢- الدين عند الرومانسيين:

منذ أن أُطلقت حرية الفكر في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، أكثَرَ الكُتّاب من معالجة مسائل الدين، وما اعتورهم بسببه من شكوك، كانوا قد تهيّأوا لها بعد أسفارٍ ومقارنات في العقائد، فدعا جان "جاك روسو" إلى الدين الطبيعي، أو شريعة القلب، ودعا آخرون أمثال فولتير إلى التوحيد، ولكن في حرية فكرية لا تكاد تنطبق على دين سماوي، خاصة المسيحية التي كانت تسود مجتمعاتهم، ويرون أنها بصورتها الممارسة في الكنيسة قد كبّلت حرياتهم الفكرية. فجاء الأدب الرومانسي فأنتج صوراً مختلفة في معالجة هذه المسائل التي كان للرومانسيين السبق في إدخالها ميدان الأدب.

٣- الطبيعة في أدب الرومانسيين:

كان الكلاسيكي يألف المدن ويحب المجتمعات، فكان مدنياً بطيعته، تجده في النازلات بين أصحابه وأتباعه يعزّونه ويشاطرونه الألم، قلّ منهم من كان يصف الريف، أو يضيق بالمدينة.

أما الرومانسيون فقد كان النظر إلى الطبيعة فارقٌ جوهريٌّ بينهم وبين الكلاسيكيين، فقد كان هؤلاء _ أي الرومانسيون_ منطويين على أنفسهم، ضائقين ذرعاً بما تضطرب به المجتمعات من حولهم، فولعوا بترك المدن إلى الطبيعة، فكانت تروقهم الوحدة بين أحضانها، ليخلوا إلى ذواتهم. يقول جان جاك روسو: " كنت أضرب على غير هدى في الغابات والجبال...لا أجرؤ على التفكير في شيء خوف أن تتقد جذوة آلامي ". لذا كثُر في أدبهم التحدُّث عن الحياة الفطرية، وساكني الأدغال، وعن الشعوب البدائية التي تنعم بالسعادة في حياتها البسيطة الساذجة. فحب الطبيعة هو الذي جعل بعض الرومانتيكيين

يختارون أبطالهم من الفلاحين الذين طالما احتقرهم الأدب الكلاسيكي، لا يتحدّث إليهم ولا عنهم.

المحاضرة الثامنة

الرومانسية في الأدب العربي

نشأة الرومانسية (الابتداعية) في الأدب العربي

قد يسمّيها البعض بالمدرسة الابتداعية، أو التيار التجديدي، وما إلى ذلك من الأسماء التي تطلق على هذا المذهب في الأدب العربي.

ظهر هذا التيار في الأدب العربي في بداية القرن العشرين، متأثِّراً بحركة المثاقفة التي توسّعت من خلال اطلاع المثقف والأديب العربي على الفكر والثقافة والأدب الغربي، فعلى عكس شعراء الإحياء كان تأثير الرومانسية على الشعراء العرب قوياً. لقد كان الشعراء الرومانسيون العرب على صلةٍ مباشرةٍ بالآداب الغربية، خاصة أدب الرومانسيين في إنجلترا وفرنسا.

ولا شك أنّ هنالك عوامل عديدة ساهمت في ذيوع التجربة الرومانسية في الأدب العربي، لعلّ من أهمها:

١- القراءة الواسعة في الأدب الغربي من خلال الاطلاع المباشر، أو الترجمة، أو التوسيط النقدي وغير ذلك من وسائل المثاقفة.

٢- سيطرة الغرب على معظم البلاد العربية، أدّى إلى التمرُّد على الأوضاع عامة: سياسية واجتماعية وفكرية وفنية، والدعوة إلى التحرر.

٣- حالة الإحباط التي سادت بعد الحرب العالمية الأولى، بسبب الفشل في الحصول على الاستقلال، قاد إلى بروز جماعات تشكّلت حتى استوت ناضجة خلال النص الأول من القرن العشرين. أصبحت هذه الجماعات ذات أثر في الحياة الأدبية بعد ثورتها على القواعد والأصول الكلاسيكية.

٤- بروز الطبقة الوسطى التي عادةً ما تضم الموظفين الذين يمثِّلون الشريحة الأوسع من المثقفين. هذه الطبقة كانت ترى في التجديد تحقيقاً لطموحاتها.

هكذا شاعت حالة من القلق على المستقبل لدى شريحة كبيرة من المجتمع، وهو ما عزّز نزعة التشاؤم، وروح الحزن والكآبة التي كانت الخاصية الأبرز في آداب الرومانسيين .

خصائص المدرسة الابتداعية:

في سياق تأثّر المدرسة الابتداعية العربية بالرومانسية الغربية، نلحظ اشتراكهما في الكثير من السمات، ولكنه يمكن رصد الخصائص التالية أو بعضها مما نجده في أدب الرومانسيين العرب:

١- الاحتفال بالعنصر الذاتي، وإنتاج الشعر الغنائي. إذ رأى هؤلاء أن الشعر أفضل ما يعبِّر عن خفايا النفس وأسرار الذات.

٢- الفردية: فقد آمنوا بدور الفرد وأهميته باعتباره محور الحياة.

٣- الدعوة إلى الفطرة والبساطة، وازدراء التكلّف والتصنُّع.

٤- تمجيد العاطفة والخيال في مقابل رفض العقل وقيوده الصارمة التي لا تناسب الإبداع.

٥- الدعوة إلى الوحدة العضوية، التي تنصهر فيها عناصر النص حتى تكون كالجسد الواحد.

٦- الاحتفال بالصدق الفني، باعتبار الشعر مصدره الشعور الصادق، ورفضهم لشعر المناسبات والذي يتجرّد في كثير من الأحيان عن هذه الخاصية.
٧- التحرُّر من إسار الغرض الشعري المحدد سلفاً، فالحياة كلّها كتاب مفتوح أمام الشاعر، فمتى انفعل بقضية من القضايا، أو تمثّل رؤية من الرؤى، عبّر عن ذلك في إبداعه الفني.

المحاضرة التاسعة

الجماعات الرومانسية فى الأدب العربى:

أوّلاً: جماعة الديوان:

الديوان جماعة أدبية لها فكرها النظري وجهودها التطبيقية في مجال النقد والأدب، يرجع فضل وجودها إلى ثلاثة أدباء، هم: **عباس محمود العقّاد، إبراهيم عبد القادر المازني، وعبد الرحمن شكري.** أخذت اسمها من الكتاب الذي ألفه اثنان من أعلامها وهو كتاب (الديوان في الأدب والنقد) للعقّاد والمازني.

أغلب نقد هذه الجماعة ورد في هذا الكتاب، وفي مقدِّمات دواوينهم خاصة الجانب النظري، والذي يمضي في اتجاهين: اتجاه فلسفي نظري، وواتجاه تطبيقي تحليلي لأشعار غيرهم..

سعى روّاد الجماعة إلى معالجة العديد من القضايا، خاصة في الشق النظري، من أهمّها:

١- ماهية الشعر وما يتّصل به من قضايا الإبداع الأدبي، كالطبع والصنعة والذاتية والخيال.

٢- الشكل وعناصره من لغة وخيال وموسيقى وأوزان.

٣- الرؤى والمواقف والموضوعات.

ثانياً: المدرسة المهجرية:

تكوّنت هذه المدرسة في المَهاجِر الأمريكية من الشعراء العرب الذي هاجروا إلى الأميركتين الشمالية والجنوبية، في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين واستقرُّوا هناك.

وكشأن كل شخص يجد نفسه غريباً في مجتمع جديد فإنه يسعى إلى التمسُّك بإرثه الثقافي حتى لا تذوب شخصيته وتضيع هويته، وهكذا وجد الشعراء والمفكرون العرب أنفسهم يكونون الجماعات الأدبية، ويلتفون حولها، ويبدعون من خلالها، فكوّن الشعراء في أمريكا الشمالية (الرابطة القلمية)، وكوّن رصفاؤهم في أمريكا الجنوبية (العصبة الأندلسية).

من أبرز أدباء الرابطة القلمية: جبران خليل جبران، ميخائيل نعيمة، وإيليا أبو ماضي. ومن أبرز شعراء العصبة الأندلسية: ميشال معلوف، رشيد الخوري، إلياس فرحات.

تأثّرت الجماعتان بالتيار الرومانسي، وإن كانت الرابطة القلمية أكثر تأثراً من رصيفتها. وقد سعوا إلى معالجة الكثير من القضايا تمثّل في مجملها رؤية المذهب الرومانسي، من ذلك مثلاً:

١- الاهتمام بالصدق الفنِّي والذي يتمثّل في معايشة التجربة والانفعال العميق بها.

٢- في قضية اللغة دعوا إلى الاستفادة من طاقة العامية واللهجات، والتحرّر من قواعد اللغة الفصحى، وهي دعوى لم تجد القبول حتى من قبل الرومانسيين أنفسهم، بل حتى أصحاب هذه الدعوى كجبران وميخائيل لم يأخذوا بشيء مما دعوا إليه في شأن اللغة، يشهد على ذلك أدبهم ومؤلفاتهم النثرية والنقدية.

٣- فيما يتعلّق بموسيقى الشعر فهم دعاة تحرر من الأوزان والقوافي التي أثقلت الشعر العربي وقيّدته بقيودها الصارمة كما يرون.

ثالثاً: جماعة أبوللو:

هذه الجماعة لم تتبن موقفاً نقدياً محدداً، لكنها احتضنت كافة محاولات التجديد الشعري، وغلب على شعر شعرائها الطابع الرومانسي.

ضمّت في عضويتها عند تأسيسها شعراء إحيائيين أمثال: أحمد شوقي، ومطران خليل مطران، وشعراء رومانسيين مجددين، أمثال: أحمد زكي أبو شادي، إبراهيم ناجي، وعلي محمود طه.

ظهرت هذه الجماعة في العام ١٩٣٢، وأصدرت مجلة باسمها، وكان ظهورها نتيجة عوامل عديدة، أهمها:

١- الجدل العنيف الذي كان يدور بين التياريْن الإحيائي والتجديدي، كاد أن يؤثّر سلباً على الحركة الأدبية، فجاء التفكير في هذه الجماعة التي تضم التيارين معاً، وتكون لهم منبر يطلّون من خلاله على المتلقيين.

٢- زيادة الانفتاح على الأدب الغربي والتواصل معه عن طريق الترجمة والتعريب والقراءة المباشرة، حتى أن معظم شعراء هذه الجماعة كانوا يجيدون اللغات الغربية خاصة الفرنسية والإنجليزية ما أتاح لهم فرصة الاطلاع على الأدب الغربي والتأثر به.

٣- التأثّر بأدب المهجر والذي كان يصل عبر مجلتهم إلى البلاد العربية. فقد كان الطابع الرومانسي هو الذي يطبع ذلك الأدب.

٤- التحوُّلات الاجتماعية التي أصابت المجتمع العربي في فترة ظهور هذه المدرسة إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥. فقد تعمّق دور الفرد، وازدادت الرغبة في التعبير عن الذات الفردية، لذلك كانت الرومانسية ما تحمله من نزعة عاطفية أنسب مذهب لمخاطبة إنسان تلك الفترة.

المحاضرة العاشرة

المدرسة الواقعية: تعريفها ونشأتها

أوّلاً: مفهوم الواقعية:

الواقعية Realisme نسبة إلى الواقع، وهو الموجود حقيقة في الطبيعة والإنسان، والواقع نوعان: حقيقي وفنّي، فإذا كان الأول يُعنى بالوصف الصادق والأمين للموصوف لموافقته ما هو موجود وكائن، فإن الواقع الفنّي يقوم على خلق إبداعي لواقعٍ لا يشترط أن يكون حقيقياً بحذافيره. وهذا الأخير هو المعوّل عليه في الأدب.

إن الكاتب الواقعي يخلق أشخاصه، ويرسم ملامحها، ويصوّر البيئة كما يشاء، ولكن ضمن الأطر المعروفة التي لا نشعر إزاءها بالغرابة والاستنكار.

فالواقعية الأدبية إذن هي " تصويرٌ مبدعٌ للإنسان والطبيعة في صفاتهما وأحوالهما وتفاعلهما، مع العناية بالجزئيات والتفصيلات المشتركة للأشياء والأشخاص والحياة اليومية...ضمن الإطار الواقعي المألوف".

ثانياً: أسباب نشأة الواقعية:

نشأت الواقعية الأوربية في النصف الثاني من القرن التاسع كردِّ فعلٍ على المدرسة الرومانسية التي أوغلت في الخيال والأحلام والانطواء على الذات والفرار من الواقع الاجتماعي، فعملت على إعادة الأدب إلى الحياة.

التقدُّم العلمي والكشوفات الهائلة في مجال العلوم، وتطوّر الدراسات التجريبية والإنسانية.

الاهتمام بالطبقات الاجتماعية المتعددة بما فيها الطبقة الوسطى، والفقيرة والمهملة، وعدم الاقتصار على شرائح النبلاء. لقد كانت الواقعية بمثابة عودة إلى الشعب العريض، صادقة التصوير والتمثيل للواقع الفردي والجماعي.

هذه الأسباب وغيرها هيأت لظهور المدرسة الواقعية في الأدب الغربي بعد منتصف القرن التاسع عشر، وإن كانت بداية تشكّل هذه المدرسة يعود إلى ما قبل هذا التاريخ.

الواقعية: مدارسها وأعلامها

المدارس الواقعية وخصائصها

ثالثاً: الواقعية الاشتراكية:

نستكمل في هذه المحاضرة ما بدأناه في المحاضرة الفائتة (الثامنة)، بشأن الحديث عن مدارس الواقعية التي تفرّعت عن الواقعية الأمّ (الأوربية)، فنخصص الحديث تحت هذا العنوان للحديث عن الواقعية الاشتراكية.

تُسمى هذه الواقعية بالواقعية الجديدة، وقد نشأت منذ البداية رداً على الرومانسية، والواقعية الأم المتشائمة، والواقعية الطبيعية الساذجة، وقد اتسعت دائرة انتشارها مع انتشار الدراسات الاشتراكية، والتطبيق الاشتراكي.

ولما كانت الاشتراكية لها رؤيتها الفلسفية والاجتماعية التي تشمل كل فروع المعرفة، فقد سعت إلى توجيه الأدب وجهةً خاصةً تناسبها، ووجدت فيه خير مصوِّر للواقع، وباعثٍ للوعي، وحافزٍ إلى التغيير.

من هنا نشأت الواقعية الاشتراكية في الأدب، وأصبحت مدرسة عالمية لها منهجها الذي تم استخلاص مدرسة نقدية منه سمّيت الواقعية الاشتراكية. وقد تبلورت معالمها في الثلاثينات من القرن العشرين.

وتتلخّص أهم خصائص هذه المدرسة في الأدب في النقاط التالية:

إنها تنطلق من الواقع المادي من خلال فهم بنية المجتمع. فالواقع هو الصادق الوحيد، والقاعدة العلمية الموضوعية.

الأديب طليعة مجتمعه، بما أُوتي من مؤهلات فكرية وفنّية ووعي للعالم، ومؤهلات قيادية تمكِّنه من التأثير في الأفكار والقناعات والسلوك. فالأديب إذن له رسالة جوهرية إيجابية وهي الاتجاه مع المجتمع لبناء مستقبل أفضل للجماهير. قال أحد زعمائهم «الأدباء مهندسو البشرية». لذلك لا بدّ لهم من رؤية مستقبلية واضحة لما يجب أن يكون.

عدم الاكتفاء بالتصوير، بل لا بد من شفعه بالتحليل واستخلاص العوامل الفعّالة في صياغة المستقبل. وهنا تبرز رسالة الكاتب والذي لا ينبغي أن يبقى مشاهداً سلبياً، بل يتدخّل لتغليب الإيجابيات.

الواقعية الاشتراكية متفائلة تؤمن بانتصار إرادة الخير والحق لبناء مجتمع جديد كما يرى منظِّروها.

تُولي الواقعية الاشتراكية أهمية **كبرى لرسم وإبراز النموذج البطولي،** بحيث يصبح نموذجاً يُحتذى.

الواقعية الاشتراكية إنسانية وعالمية، تؤمن بوحدة قضايا الشعوب، وتدين أشكال الاستعمار، والتمييز العنصري والديني.

تفسِّر الواقعية الاشتراكية الحياة الإنسانية على أساس أن البناء الثقافي بما فيه من آداب إفراز لعلاقات يقوم العامل الاقتصادي بالدور الرئيسي فيها، فالتطوُّر والتغيُّر الثقافي يتأثّر بالتطوُّر الاقتصادي. كما أنّها تبشّر بمجتمع يخلو من التناقضات _ على حد زعم منظِّروها_.

الواقعية الاشتراكية مدرسة إيدلوجية ملتزمة على الصعيد النقدي والإبداعي، لكن الالتزام ينبغي أن يكون نابعاً من صميم القناعة، يتدفق من تلقاء الذات، وليس مجلوباً أو مفروضاً، كما يقول أصحابها.

لا تهمل الواقعية الاشتراكية المقوّمات الفنّية، كالمقدرة اللغوية والأسلوبية، وجمال التصوير وحرارة العاطفة، كما تهتم بمراعاة المقوّمات الخاصة بكل جنس أدبي، وتختار اللغة السهلة المتداولة. فالمضمون والشكل متضامنان لا ينفصل أحدهما عن الآخر.

ازدهرت الواقعية الاشتراكية في روسيا، ومنها انتقلت إلى أوربا الشرقية، وبعض بلدان العالم الأخرى.